وكالة انباء بيروت ٩٣/٥/١١

٣ صفحات

مفهوم الوعي في الايزوتيريك
وكيف السبيل الى اكتساب الوعي ؟

إليكم ما جاء في هذه المحاضرة الشيقة للاستاذ جوزيف مجدلاني، مؤسس مركز الايزوتيريك في لبنان والعالم العربي :

الوعي ... كم من مرة ردّدنا هذه الكلمة، وكم من مرة تفوّهنا بها في سياق احاديثنا دون تفكّر عميق فيما قد تحمله من معانٍ... وفيما تخفيه من أبعاد !

الوعي كلمة، ما من شخص لم يسمع بها ... لكن، كم من شخص يدرك حقيقة ما ترمز اليه هذه الكلمة ؟!

عدد ضئيل جداً بالتاكيد ! ومن شاء التثبّت من هذا الواقع، ليسأل الناس من حوله، ليستفسر من الفلاسفة والعلماء والأطباء، وحتى من المثقفين، ليسالهم : ما هو الوعي ؟! وليستمع الى إجاباتهم التي سيبدو بعضها غامضاً مبهماً، فيما البعض الآخر يداني المعنى الحقيقي دون ان يلامسه !

ليطرح كل منكم السؤال ذاته على نفسه، وليحاول ان يعرّف الوعي ببضع كلمات ... سيكتشف ان مفهوم الوعي واضح في ذهنه، وفي عمق إدراكه، لكنه لا يجيد التعبير عنه ! ثم ليحاول استشفاف او تحديد ذلك المفهوم بمنطق وموضوعية ... سيجد نفسه عاجزاً عن فهم كنه الوعي!

النتيجة ذاتها تحصلون عليها حتى من عدد لا باس به من المتعمّقين في معرفة الذات. إذ ان المرء عادة يبتكر تفاسير جديدة لامور، او يستعمل مرادفات كثيرة لمفردات لا يدرك معناها بدقة وشمولية ... بل يكتفي بإعتمادها في مفاهيمه وحياته، دون سعي منه الى تقصي معناها الواضح والمحدد !

قد يعترض البعض بالقول انهم يدركون فعلاً ماهية الوعي. لكننا نسالهم بدورنا : كم من مرة ذُكرت على مسامعهم كلمة الوعي ... ولم يتساءل احدهم عن ابعاد معناها، او عن مضامين مفهومها ؟!

عدم معرفة كنه الوعي، او مفهومه، ليس غريباً على من لا يتعمق في معرفة الذات ... لكنه يجب الا يكون كذلك لدى طلاب الايزوتيريك، طلاب المعرفة والوعي !

لهذا السبب، سيشرّع الايزوتيريك امامهم باب المعرفة الواسع، ليحيطوا بكل حقل من حقول المعرفة. إذ ان المعرفة مُشاعة لجميع طلابها، ولم تعد حكراً على الخاصة دون العامة .

طالب الايزوتيريك يدرك ان الانسان هو كتلة وعي.

وان الخليقة كانت لأجل الوعي ...

وان هدف الوجود هو التطوّر في الوعي ...

كما يعلم أيضاً ان « تقنية اعرف نفسك »، إنما هي تعتمد على مبدا التطبيق العملي الذي يتّخذ من النفس البشرية حقله العلمي ... ومن الوعي مجال دراسته، ومن تطوير الوعي مادة اختباره وتجاربه !

من هذا المنطلق، تتوضّح ابعاد العبارة الفلسفية « إعرف نفسك ! » وكانما هي ترمي الى حثّ الانسان على إدراك ماهية الوعي وتقنية اكتسابه، لتطوير نفسه به. لان الانسان - كما يذكر الايزوتيريك دائماً - هو تجسيد الوعي على الارض، بل هو روح إلهية وقد ارتدت الوعي جسداً لها !

نعود الى البحث العلمي، او التحقيق العملي، فنقصد مجموعة اشخاص تنتمي الى مستويات ثقافية ودينيّة وعلمية متعددة، لنطرح عليهم السؤال موضوع بحثنا : ما هو الوعي ؟ ثم لندرس الاجابات ونصنّفها، ونتقصّى حقيقتها، قبل اللجوء الى اجابة الايزوتيريك ... علّنا بذلك نتوسع في مفهومنا، وننمّي المعرفة في نفوسنا، طالما هناك وسيلة الى ذلك.

والملفت للنظر، بعد القيام بذلك التحقيق العملي، ان جميع الاجابات تقريباً دارت حول معنى الوعي، وحامت حول فحواه، دون ان تدرك جوهره ! اذ ان الانسان، بوجه عام، لم يتوصل بعد الى إدراك ماهية الوعي، مهما علا شاناً، وتوسّع علماً، وارتقى ثقافة !

ولعل سبب ذلك يعود الى ميل ذلك الانسان، الى التشبّث بالقشور دون الجوهر ... او ابتعاده عن ركائز الفكر المتكامل، الا وهي : التفكير والتحليل والتمييز والاستنتاج - ميزة طالب الايزوتيريك.

ما هو الوعي ؟

سنوجز فيما يلي الاجابات التي حصلنا عليها من الاشخاص الذين ينتمون الى الحقول العلمية والدينية والثقافية المختلفة.

اجاب رجل العلم بان الوعي هو المعرفة والنضج.

وقال رجل الدين ان الوعي هو الحكمة والمعاملة الحسنة.

اما رجل الفكر فاجاب ان الوعي هو الإدراك واليقظة.

مجمل الاجابات لم تكن سوى معانٍ تدور حول كنه الموضوع دون ان تطاله. ففي اعمق اعماقنا نستشف وجود جميع هذه التعابير في معنى الوعي ... بالرغم من ان مفهوم الوعي يبقى اشمل واسمى وابعد مدى من كل ما ذكر !

نلجا الى الايزوتيريك – علم الانسان وباطن المعارف والعلوم – الذي يغوص في الخفي، والمجهول، واللامرئي، ليتقصّى الاصل ... فيجيبنا بالتالي :

قبل تعريف الوعي حسب علوم الايزوتيريك، او في مفهومه الشامل المتكامل، لنبحث اولاً في تاريخه منذ بدء الخليقة، عندها يهون استيعاب الموضوع.

الخليقة كانت لاجل الوعي، والتطور في الوعي ! هذا ما تخبرنا به المخطوطات الشرقية القديمة، التي تعتبر اقدم المخطوطات على وجه الارض، والتي تحوي الاسرار والمعارف والعلوم الخافية، التي يقصدها طلاب المعرفة من شتى انحا العالم ! وتضيف هذه المخطوطات ان الانسان وجد لاجل الوعي. بل هو ثمرة هذا الوعي !

البداية الاولى لم تَحْوِ غير الوجود الالهي. وحين شاءت الروح الكلية خلقاً متطوّراً، تمددت اشعتها الروحية، او فاضت في طبقات الكون الخارجي. وكلما كان كل من هذه الاشعة يلامس طبقة من طبقات ذلك الكون، كان يتفاعل معها ... فتنشا ذبذبات جديدة من جراء ذلك التفاعل.

تلك الذبذبات المستحدثة، تحتوي على وعي الروح الالهية، وعلى ذبذبات الطبقة التي لامسها كل شعاع روحي للمرة الاولى... هذا التفاعل الذبذبي هو ما يسمى بالوعي ! فقبل ان يلامسها الشعاع الروحي، لم يكن ثمة تفاعل او تعارف بينهما ... اي كان وجودها لاوعياً بالنسبة الى الشعاع الروحي .

لتبسيط الامور، سنورد التشبيه التالي :

لنفرض ان شخصين لم يتقابلا سابقا، ثم جاء من عرّفهما الى بعضهما ... فنشا نوع من حديث، او تفاعل بينهما. هذا التفاعل هو عبارة عن تبادل بضع معلومات ... كمعرفة الاسم، والعائلة، والوظيفة، ومكان الاقامة، والحالة الاجتماعية، الخ ... هذا التفاعل، او تبادل المعلومات بين الشخصين، هو ما ادى الى المعرفة، او الى الوعي، حسبما يفسره الايزوتيريك، استناداً الى علوم باطن الانسان.

وهذا مثال اخر ... لنفرض ان شخصاً لا يعرف مذاق صنف معيّن من الطعام، لانه لم يحدث ان تذوقه قبلاً ... وشاءت الصدف ان وُضع امامه ذلك الصنف للمرة الاولى، فتناول منه وتذوّق. التفاعل الحسي الذي حصل في حاسة الذوق لدى ذلك الشخص، ادخل ذلك الصنف في حيّز الوعي ... اي نقله من حيّز اللامعرفة او اللاوعي، الى حيّز المعرفة او الوعي !

إذن، ذلك التفاعل الاولي بين الاشعة الروحية وطبقات الكون العديدة، هو ما ادى الى وجود طبقات وعي ... ليس في الكون فحسب ... بل في كل من الاشعة الروحية ايضاً !

بعد شرح بداية واصل الوعي، نجد اننا بتنا نملك فكرة، بل مفهوماً واضحاً عنه، يساعدنا على متابعة تعريفه.

الوعي هو نتيجة تفاعل بين شيئين، او كيانين، او كائنين ... فينشا عن ذلك التفاعل معرفة وإدراك، فطنة وفهم، نضج وحكمة، إلخ...

إذن، وحسبما اظهرته الاجابات الثلاث المذكورة، لرجال العلم والدين والفكر، نستنتج ان الناس عادة، يُؤخذون بالنتائج وظواهر الامور، دون إدراك بواطنها ... لقد كشفت الاجابات الثلاث ما يولّده الوعي في النفس، ولم تتعمّق في كنه ذلك الوعي. والسبب يعود الى النظرة المادية المقتضبة، النظرة السريعة التي يلقيها الناس، حتى معظم المثقفين منهم، على الاشياء.

وإذا ما سالنا الايزوتيريك : كيف نكتسب الوعي، او كيف نوقظه لنتكامل به ؟! يجيبنا :

الوعي هو اصلاً في حالة يقظة دائمة لكن الانسان لا يعي ذلك.

الوعي لا يهدا ولا يغفل،

لا يتكاسل ولا يغفو،

الوعي لا يرتاح، لانه لا يتعب .

وهذا ما يُسرّع عملية تطوير الوعي الفردي، ليرتقي بصاحبه الى مرتبة اسمى من مستوى الوعي العام. الامر الذي يميّز الوعي الخاص والسامي عن الوعي العام والمتدنّي !

هذا ما يجب على طلاب الايزوتيريك ان يتوعّوا اليه، ويسعوا لتقويته في ذواتهم.

اما عن طريقة تطوير الوعي وتنميته، فتبدأ بالخطوة الأولى الا وهي التطبيق العملي، اي الممارسة والاختبار والتجربة الشخصية ... فلا وعي دون تطبيق كل ما يصادفه المرء في حياته، تماماً كما ورد في مَثَل التعرُّف الى صنف جديد من الطعام ... فمهما وصفوا لك ذلك الصنف ومهما اخبروك عن مكوّناته، وعن منافعه وطيب مذاقه ... انت لا تستطيع إدراك طعمه، إلا ان تذوقته واختبرت طعمه بنفسك، اي نشأ تفاعل بين حواسك ومذاقه، فدخل نطاق الوعي !

يصرّح الايزوتيريك بأن الوعي لا يُكتسب إلا من خلال التطبيق العملي الحياتي لكل شيء ... وعبثاً يحاول الانسان عكس ذلك ! فمهما تفوّق المرء في دراسة القانون، او الهندسة، اوالطب ... لن يصبح محامياً، او مهندساً، او طبيباً، إن لم يمارس حصيلة معرفته في الحياة ! هذا هو المبدأ العام.

نستطيع القول ان ما ذكرناه يقدم مفهوماً واضحاً في الوعي. لكنه مفهوم غير متكامل، او إجابة ناقصة، لأن المعرفة مُشاعة لكل مريد، وهي ما وجدت إلا لتكون منهلاً للإنسان، لذلك، سنستمع الى الايزوتيريك يبسط مفهوم الوعي وتقنية اكتسابه :

باختصار، الوعي هو المقدرة على الاحتواء، مقدرة الذات والنفس على الاحتواء.

نغوص في ابعاد هذا التعريف فندرك ان الذات الروحية مكوّنة من ذبذبات ... شانها شان النفس البشرية ... ذبذبات وعي هي ! علماً ان النفس البشرية هي انعكاس الذات الروحية، الذات الانسانية، على الارض.

إذن، تحوي النفس البشرية ما تحويه الذات الروحية، لكن بمستوى ادنى من الوعي، او بمقدرة مخفّفة ... بالرغم من ذلك ، هي مقدرة على الاحتواء.

ذبذبات النفس البشرية قادرة على احتواء الاشياء المادية والحياتية التي يصادفها الانسان في شؤونه اليومية.

وذبذبات الذات الروحية قادرة على احتواء المعرفة والمحبة والحكمة.

اما ذبذبات الروح، فهي تحوي الارادة، قانون الوجود، نظام الكون، اسرار الخلق، الخ ...

ذكرنا ان الوعي هو الاحتواء !

فإن انت وعيت امراً ما، تكون قد احتويته بالذبذبات المكوّن منها كيانك ... احتويته بمعرفتك، بإدراكك، بفهمك، وبذاكرتك ... والبرهان على ذلك ان اي شيء تتعرف إليه، يدخل ذاكرتك. فمذاق الصنف الجديد من الطعام - الذي سبق وضربنا به المثل - تفاعلت حاسة الذوق به، وحدّدت ذوقها حياله، اكان سلباً او إيجاباً، إذ ذاك دخل الذاكرة، فيتمكّن الشخص من استعادته من ذاكرته متى شاء ... كما ان مذاقه لن يُمحى من الذاكرة ابداً . لأن الذاكرة تحتفظ بكل ما يدخلها، ولا تُسقِط شيئاً البتّة !

هذا الاسلوب المبسّط يدل على تقنية اكتساب الوعي.

الوعي هومقدرة الذبذبات على الاحتواء. لأن الانسان مكوّن اصلاً من ذبذبات قابلة للتطور، اي التمدد والتوسُّع. وهذا التطور هو غاية الخلق !

لذلك، كانت ذبذبات الكيان الباطني قادرة على التوسع والتمدُّد ... لاحتواء ذبذبات المعارف والعلوم والخبرات الجديدة ! وهذا ما يُدعى بالوعي والتطور ... والتطور هو تسامٍ وارتقاء في كل شيء، وعبر اي شيء !

خلاصة القول، الوعي هو تفاعل ذبذبي ينجم عنه احتواء معارف ومعلومات جديدة.

اما عن كيفية التدرّج في اكتساب الوعي، فيوضح الايزوتيريك المراحل بإيجاز بليغ :

تعرُّف، فتفاعُل، ثم استيعاب ...

إدراك، فهم، ثم تمييز ...

معرفة، ثم خبرة، ومن ثم وعي !

وتذكروا دوماً ان الخليقة ما كانت إلا لأجل الوعي ...

والانسان هو بذرة الوعي وثمرته !

وليتبارك كل من عمل في سبيل الهدف الاكبر، الهدف الاقدس، الوعي !

اللجنة الاعلامية في الايزوتيريك

70-4